بحث فقهي ٧

تكلمنا فى عدد مضى عن انواع الزواج التى تعتبر شاذة بالنسبة للاخلاقية السائدة بين مختلف المجتمعات ٠٠ اما فى هذا العدد فسيكون كلامنا منصبا على الانواع المتعاونة للزواج وهى الانواع المعترف بشرعيتها عنداكثر الشعوب المتحضرة باستثناء (السويد) التى بدأت تهجر الطريقة المتعارفة فى الزواج٠٠ وجميع هذه الاصناف على اختلاف صورها تتمتع فى نظامين عامين للزواج هما نظام التوحد ونظام التعدد ولابد من الكلام على كل واحد من هذين النظامين :

الولاية فى الشريعة الاسلامية

أنواع الزواج

بقلم : فضيلة الشيخ سليمان المدنى

نظام وجدانية الزواج : يميل الى الاقتصار على زوجة واحدة ولا يخرجون على هذه القاعدة الا نادرا ، وعدد الذين يعددون ازواجهم يميل دائما الى الانخفاض، وقد ساعدت الافكار الجديدة على ذلك مساعدة جبارة حتى ان كثيرا من الناس ينظر فى الوقت الحاضر الى نظام تعدد الزوجات على انه نظام غير لائق ، بل يستشعر بعضهم قبحه ، الا انه لا يزال فى دماغ هؤلاء نقطة ضعف كبيرة لم يحاولوا تلافيها على صعيد عملى او اعلامى على الاقل حتى الان ، ذلك ان الحياة الجديدة والتى ضعفت فيها الضوابط الاخلاقية كثيرا ولعبت فيها الاهواء والمادة دورا كبيرا قد كبلت المرأة بقيود كثيرة وسلبتها الكرامة حتى ان كثيرا من دعاة حقوق المرأة لا يجدون بأسا من مباشرة المرأة جنسيا وبدون رباط شرعى باسم الصداقة احيانا والمخالة احيانا اخرى بل ربما وقفوا موقف المعارض المستنكر لمنع مثل هذه الامور بحجة) صيانة الحرية الفردية) ومما لا شك فيه ان الغاية من تعدد الزوجات تحصل للرجل عند هذا الطريق بل هو افضل له الف مرة من نظام تعدد الزوجات . ذلك ان تعدد الزوجات يفرض على الرجل واجبات كثيرة تجاه زوجاته ويجعل للمرأة حقوقا على الرجل متساوية مع حقوق المرأة الواحدة تماما اللهم الا استثناء المبيت فى كل ليلة اما هذه الطريقة العصرية فهى تبيح للرجل ان يعاشر من يشاء من النساء مع عدم المسئولية عن المرأة وبذلك تتحول المرأة الى سلعة تباع فى سوق الجنس رخيصة الثمن وان فلسف بيعها باسم التقدم وحرية المرأة وغيرها من المفاهيم صارت تأسر لب الفتاة كما تسحر اغلى الحلى الذهبية افئدتهن ، وحتى انتشرت الحفلات الصاخبة فى كل مجتمع ندى ٠

ولكى يبرهن لنا دعاة (وحدانية الزواج) على حسن نيتهم وانهم لا يقصدون من وراء هذه الدعوة الغاء المسئوليات عن عواتقهم فان عليهم ان يتجنبوا الانغماس فى حياة الاختلاط وان يشنوا حربا ضروسا على الهوة السحيقة التى يجر المرأة اليها النخاسون فى سوق (الرقيق الابيض) ٠

٢ ـ نظام التعدد فى الزواج: يأخذ نظام التعدد فى الزواج اشكالا مختلفة باختلاف الشعوب ، ففى المجتمعات التى تكون السيادة فيها للمرأة (مجتمع الام) يكون التعدد فى الازواج ان يباح للمرأة ان يكون لها اكثر من زوج بينما لا يباح للرجل اكثر من امرأة واحدة ٠ اما فى بلاد وصلت الى حد معقول من التطور الحضارى فان التعدد فى الازواج يأخذ شكل تعدد الزوجات حيث يباح للرجل ان يتزوج اكثر من زوجة واحدة فى حين لا يباح للمرأة ان تتخذ اكثر من زوج واحد ٠

ونظام تعدد الزوجات كان هو النظام السائد قانونا بين كافة الشعوب القديمة واكثر الشعوب المتمدنة الحديثة اضافة الى القبائل المتوحشة ٠ فهو النظام السائد عند اليهود كشريعة معترف بها وكان موجودا فى اوروبا بعد معاهدة وستفاليا كما اباح القديس اغسطس والمصلح البروستانتى لوثر والواقع ان الانجيل لم يقل اى كلمة بصدده ، ولذلك تبيح الكنائس الموجودة تعدد الزوجات لاهل افريقيا ٠ اما فى الصين واليابان والمكسيك وبيرو فان القانون يمنع الرجل ان يتخذ لنفسه اكثر من زوجة واحدة ، لكنه يبيح له ان يتخذ ما يشاء من المحظيات ويعطى اولادهن نفس الحقوق التى يعطيها اولاد الزوجة الشرعية (النظرية النجنسية ٢٠٣) وقد اباح القرآن الكريم للرجل ان يتزوج اربع نسوة شرعيات ٠ وهناك شعوب همجية تمنع التعدد وتأخذ بنظام وحدانية الزواج مثل سكان جزر اندمان وقبائل التوارج والوداو والواندوت ٠

وتميل بعض اجهزة الحكم فى البلاد العربية والاسلامية الى محاربة نظام تعدد الزوجات واصدار تشريعات لمنعه ، فقد صدر قانون فى تونس يمنع التعدد منعا باتا وكذلك صدر قانون فى العراق لهذا الغرض فى عام ٦١ او ١٩٦٢ الا انه الغى بعد ذلك بسبب ما اثار من اضطرابات واسعة ٠ اما ايران فقد صدر قانون يضيق دائرة امكان حدوث التعدد فى الزوجات حيث منع الرجل من الزواج بزوجة ثانية الا برضا الزوجة الاولى ٠

وفى حدود ملاحظتى للتجربة الايرانية استطيع القول بأنها تجربة غير ناجحة وانها عقدت الحياة الاجتماعية ، ويتجلى ذلك بارتفاع عدد الجرائم الجنسية من حين صدور هذا القانون عما كان عليه سابقا كما ازداد عدد الطلاق بالاضافة الى ما طرأ على المجتمع الايرانى من تحلل اخلاقى كبير، بل الذى الاحظه ان هذا القانون اصدر لامور عاطفية اكثر منه لامور مدروسة ٠

اما فى اوروبا حيث درج الناس لاجيال متعددة على منع الرجل من الزواج بأكثر من واحدة ، فقد وجد الرجل لنفسه نظاما جديدا يعوضه الامر الممنوع ذلك هو نظام (الصداقة) ٠ كما ان اباحة مسلك الفراق البدنى قد اعطت الرجل مهيعا واسعا لان يعاشر غير زوجته ، بل ان كثيرا من الناس من يحاول ان يقنع زوجته بالمال لتوافق على اجراء اتفاقية (فراق بدنى) على الرغم من بطلان مثل هذه الاتفاقية قانونا ٠

ويحاول فرويد ان يعلل وجود نظام تعدد الزوجات لدى الشعوب المتمدنة بأن عدد النساء يزيد فيها على عدد الرجال فهو يرى ان المواليد من النساء عموما اكثر من حالات الولادة للرجال كما ان عدد وفيات الرجال اكثر من وفيات النساء ٠ اما فى اوربا فيرى هذا العالم بأن المواليد من الصبيان اكثر من المواليد من الاناث الا انهم يتساوون عند سن الخامس عشر ثم تنتكس نسبة الذكور بعد سن الخامس والعشرين ، اما بين العرب فيدعى فرويد بأنه يولد اربع اناث مقابل ولادة واحدة (فرويد ٢٠٥) ويمضى فرويد فى التعليلات وسرد الاحصائيات ليقرر بأن مجموع النساء فى العالم اكثر من الرجال ٠

ولا اريد ان اناقش فى مثل هذا الامر الذى يتعسر على فيه الاستقراء التام ، كما لا ارغب فى تأييد قوله ٠ اذ فى بلد كالبحرين تكاد النسبة الصغيرة تتساوى ومع ذلك يوجد حالات لتعدد الزوجات ٠ انما الشىء الملحوظ فى هذا الصدد ان وجود حالات التعدد لم تؤثر على ندرة النساء فلا يوجد من اخفق فى حصوله على زوجة بسبب تعدد الزوجات كما ان الشىء المؤكد هو ان الامور النفسية للرجل لها دخل كبير فى هذا الامر ، ولذلك فسوف يحتال الرجل للحصول على امرأة غير زوجته اذا منع من ذلك قانونيا، وما وجود البغايا ووجود الخليلات والصديقات وامثالهن الا نظما مشرعها الرجل ليشبع رغبته دون ان يتحمل اى مسئولية ثم اخذ يبررها ويفلسفها بما تسعفه مخيلته وما تعده به النظريات الفلسفية من الفاظ رنانة ومفهومات براقة ٠